انتصار الحق

لما أعلن دولة رئيس الوزراء فى كتاب تأليف وزارته أنه معتزم تطهير البلاد من الفساد قلنا نحن الوفديين حبًا وكرامة.

وأعلن ذلك رفعة رئيسنا الجليل فى أول اجتماع عقدته الهيئة الوفدية بعد تأليف الوزارة الحالية، فما يريد أحد منا أن يكون فى البلاد ولا فى أداة الحكم فساد. وما يريد أحد للفساد حياة ولا استقرارًا.

وكان محل الأسف بل محل الشكوى لدى الناس أنَّ الصحف والمجلات المعادية للوفد والتى درجت على التشهير برجاله سنين طويلة انتهزت فرصة هذا البرنامج فاتخذت من كل شائعة عن اتهام فرصة وأداة للتشهير والولوغ فى الكرامات، فلم تترك كبيرًا إلا مرَّغت سمعته ولم تدع عظيمًا إلا نهشت لحمه. وأتيحت الفرصة للمستعمرين فاستغلوا ما نشر ونقلوه إلى صحفهم لتسوىء سمعة مصر كلها فى أدق الظروف حرجًا فكانت جريمة تلك الصحف والمجلات مزدوجة بغير شك.

وكانت أوليات مبادئ القانون والعدالة التى نادينا بها مرارًا ومنذ أول يوم وليت فيه هذه الوزارة الحكم تقتضى أن يمنع التشهير ليتم التطهير الذى تهدف الوزارة إليه فى جو هادئ يتيح للقضاة الحكم العادل بعيدًا عن المؤثرات.

لكنَّ الصحف والمجلات المشار إليها استمرت فى طريقها لا تلوى على عدل ولا قانون. ونالنا من دعوتنا البريئة السب والشتم فتركنا حساب ذلك على الله.

ولقد حرصنا من جانبنا على ألا نتعرض للموضوعات التى عرضت للبحث حتى لا نقع فى خطأ الدفاع عن أحد قبل أن يدلى القضاء بكلمته.

وأيًا كان الشعور الذى استولى على حضرة صاحبة العصمة رئيسة جمعية أسبوع البر - ثقة منها بنفسها وبسلامة تصرفاتها - أيًا كان شعورها عندما استصدرت وزارة الشئون الاجتماعية أمرًا قضائيًا بحل جمعيتها وتسليم أموالها وأملاكها لحارس قضائى فإنى - ولا أخفى - كنت مغتبطًا باحتكام الوزارة إلى القضاء فهو الطريق السوى والسبيل الذى لا يجوز لأحد أن يضيق به.

ولعلَّ هذا الشعور قد تبدل الآن بشعور الارتياح بعد أن أصدرت محكمة مصر أمس حكمها النهائى القاطع بإلغاء الأمر الصادر بحل الجمعية وبإلزام الحكومة بالمصاريف، فهذا الحكم العادل قد محا من الوجود ذلك التشهير الذى ملأ أجواء مصر والخارج فترة طويلة، وصور رئيسة الجمعية فى صورة من استباحت فى سبيل جمع المال والثراء أموالًا جمعتها بنفسها من المحسنين لحساب الفقراء والمحتاجين. صورة قاتمة زائفة محاها القضاء العادل ومزَّقها شر ممزق.

وكانت هذه هى المعركة الأولى التى انتصر فيها الحق على الباطل، والحقيقة على التشهير والفضيحة.

ولا شك أنَّ كل منصفٍ سيبتهج بهذه النتيجة. وسيؤمن بأنَّ الذين شهروا بالأمس أسرفوا وأساءوا إلى وطنهم قبل أن يسيئوا إلى أشخاص بذواتهم، ولعلَّ فى هذا عبرة للمشهرين بالناس يجعلهم يخففون من حملتهم وغلوائهم وينتظرون فصل القضاء فى كل شأن يعرض عليه وها هم يرون أنَّ أول الغيث قطرة، ثم ينهمر.

ولعلَّى لا أكون متجاوزًا إذا قلت إنَّ أول من يغتبط لهذا الحكم القضائى الحاسم هو دولة رئيس الوزراء نفسه، فما من شك فى أن يسره كمصرى أن تظهر البراءة الشاملة لكل مواطن، فهذا يرفع رأس مصر ويزيل عن سمعتها ما لطخت به حينًا من الدهر.

ولقد أختم كلمتى بقوله تعالى وهو أصدق القائلين:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. (النور: 11).

ولعلَّ فى قوله جلَّ شأنه ما يهون علينا احتمال الأذى أيًا كان نوعه، فالكلمة الأخيرة دائمًا للحق وللحق وحده.